الجامعة والثقافة المحلية ومجتمع المعرفة :الجزائر نموذجا

نقيب فاروق

أستاذ مساعد بقسم علم الإجتماع ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.

1. الطلبة الجامعيين والثقافة المحلية والوعي السياسي:

نظرا إلى ضرورة معالجة القضايا الكبرى الإجتماعية ذات الأبعاد الصغيرة والكبيرة بحكم فلسفية، أو موعظة دينية، ومع ذلك فإن هناك خطر، وقضية أخرى في الطرف الآخر، والمتمثل في النظرة المعقدة، والمتشابكة للقضايا بدلا من تبسيطها، وخاصة إذا تعلق الأمر بالمجتمعات المتخلفة، أو دول العالم الثالث،و التي عادة تتميز بخصائص إجتماعية، ونفسية تميزها عن المجتمعات التي بنت، والتي تعيش الحضارة بكل جوانبها اليوم، وخاصة فيما يتعلق بالذهنية الساذجة،والإندفاعات العاطفية،و عقد نفسية لا أساس لها من الواقعية والجد. إن الكلام عام لكنه موجه بصفة خاصة إلى الطلبة،فما هي المشاكل التي يعانيها الطلبة اليوم ؟ إن هذا السؤال يقودنا إلى الحديث، أو المقاربة بين تحديات الشباب في بعض المجتمعات العالمية، ونبدأ بالشباب الأمريكي." إن الشباب الأمريكي يعاني مشكلة حقيقية هي أن يموت (جيفة) في الفتنام،أو يموت أقاربه، أو تموت صمعة بلاده، بعد أن تمرغ في أوحال العدوان، وشباب تشيكوسلوفاكيا يعاني أزمة نمو يتطور بها إزدهار بلاده الإقتصادي، والإجتماعي ،فيطمح بطبيعة البشر إلى ما فوق ذلك، وهو الحرية الفكرية، والشباب الياباني لم يعد يريد أو يسمع أو يرى في بلاده شيئا يذكره بالذرة وبالقوة الذرية — بعد هيروشيما"...[1].

إن هذا المثال يعكس لنا صورة بسيطة عن إنشغال شباب الشعوب في العالم، والذي له علاقة بالطبيعة التاريخية، والإجتماعية لذلك المجتمع، (اليوم أصبحت الإنشغالات إقتصادية،حرية التعبير، الدين والتطرف، الهجرة...) ومن جهة أخرى يوضح هذا المثال مدى سخط هؤلاء الشباب قليلا، أو كثيرا ثائرون إلى حد قريب أوبعيد ثوريون حقا أو باطلا.

أما الشباب الفرنسي أقل ما يقال عنه أنه يعيش تمزقات بين تيارات مختلفة مند الثورة الفرنسية،إلى درجة أن عالم الإجتماع أوغست كونت كان يفضل شعوب القرون الوسطى نظرا لتماسك البنى الإجتماعية، عن نوع النسق الإجتماعي السائد اليوم، أما الآن السؤال المطروح إلى أي نوع من الأنواع نشبه بها شباب المجتمع الجزائري وبالخصوص الطلبة منهم؟

إن الفرق الموجود في طبيعة المستوى الحضاري، والتباين التاريخي، والجغرافي، والثقافي يجعل من شباب الجزائر يختلفون في محتوى مشاكلهم عن البلدان المذكورة، بل تعاني طراز آخر من المشاكل، هو مشكل البلاد الفقيرة ماديا وخاصة معنويا ،فالطلاب الجزائريون ربما من بين المشاكل الأولى التي يواجهونها في تصرفاتهم وممارساتهم العملية، والعلمية، وتكوينهم العاطفي، وبنياتهم العقيلة منقطعون عن مجتمعهم الحقيقي يطمحون إلى مجتمع خيالي يتبنون مشاكله، ويعالجونها بأسلوبهم الخاص" لأن شبابنا ببساطة يكذبون ما يرون، ويصدقون ما يسمعون"...[2]، فعادة الطلبة لا يأثر فيهم محيطهم الإجتماعي، ولا يتأثرون في أغلبهم بتراثهم الثقافي الذي إنقطعوا عنه في إنتاج الأجنبي في كل الميادين .

ما هو سبب هذا الوضع ؟و هل شبابنا الجامعي ملام على هذا؟ إن رأي الباحث يرى أن الموقف يحتاج إلى تحليل علمي أكثر من اللوم، والعاطفة، والإنفعال على الشباب الجامعي، أو الإشفاق عليهم.

إذا طبيعة المشاكل الشبابية تختلف من بلد إلى آخر، من الإشتراكي إلى الرأسمالي، فالهدف الأول نحو الشباب الجامعي الجزائري يتمثل في تحقيق إدماجه في المحيط الإجتماعي حتى يكونوا جزءا حقيقيا من بلادهم لا جزءا مصطنعا من بلاد أخرى، أو حضارة أخرى، أو عالم غريب عن عالمهم، ويكون هذا من خلال دمج الشباب في الممارسة السياسية (الأحزاب)، وخاصة الجمعيات المدنية. إن الملاحظة اليوم توحي بالوضع الغير طبيعي في موقف الشباب الجزائري عامة والطلبة خاصة في موقفهم من الحزب السياسي " إن حق المناقشة السياسية لا يعطى عادة في بلاد الحزب الواحد إلا للمناضلين العاملين داخله،أما من كان خارج الحزب فلا حق له في هذه المنافشة، وما نجده في المجتمع الجزائري هو أن من يوجد في داخل الحزب لا يناقش، ولا يتنقد، ومن يوجد خارجه هو الذي يعطي لنفسه حق المناقشة، والنقد سواء بالحق، أو بالباطل"...[3]

إذن عملية دمج الطلبة في الحزب أمر أساسي لتمكينهم من صرف جهودهم المثالية، وأحلامهم الثورية في إطار النظام المثمر، وهذه العملية تعني كذلك عملية دمج هذه الشريحة في المجتمع

وفي محيطهم الطبيعي، وفي مشاكل هذا المحيط الحقيقية التي لابد أن تؤثر على تصورهم الصادق، والبناء لأوضاع بلادهم، وبالتالي يمكن معالجة مشاكلهم، ومشاكل المجتمع بما لهم من كسب فكري، ومن قدرة ذهنية، وتصبح كل نشاطاتهم الإجتماعية، والسياسية، والفكرية والعلمية نابعة من محيطهم، وهذا يعتبر من بين أحسن التكوينات من جميع النواحي.إن الحزب السياسي معروف أنه حقل من حقول المجتمع التنظيمي يضم فئات المجتمع المختلفة بجميع إتجاهاتها، ولذلك فإن عملية دمج الطلبة في الأحزاب السياسية يجعلهم أقرب من الواقع، ومن المؤسسات الجماهيرية، وأقرب إلى مصيرهم المستقبلي.

إن الناحية التعليمية لها دور كبير إلى جانب الناحية السياسية، والعسكرية،" إن طلابنا مند الإستقلال يعيشون من الناحية التعليمية في الفراغ "... [4]

في هذا السياق أن طلابنا ((يتمتعون)) بفراغ قد يحسدهم عليه كل زملائهم في العالم الثالث، وخاصة العالم المتقدم،إن هذا الفراغ قد يصبح مع مرور الوقت وسيلة للهو، أو إضاعة الوقت في غير الجهد الدراسي المنظم، وبالتالى فإن من بين إستراتجيات تفعيل قطاع التعليم العالي، والذي له إنعكاس مباشر على الطلبة، وهذا هو حديثنا لابد من تعمير الفراغ بالحصص الدراسية، والنشاطات السياسية والثقافية والعلمية ...، لأن هذا الفراغ بإختصار له إنعكاس سلبي على التكوين الوطني، والسياسي، والخلقي، والعلمي.

إن ربما من بين الإستراتجيات الفعالة في التكوين الذاتي للطلبة تماشيا مع التكوين العلمي لهم في الجامعة هو الإنخراط في الأحزاب الطلابية المختلفة، وممارسة (المهنة السياسية التسييرية، وتعلم أساليب المناقشة والعمل الجماعي)،في نفس الوقت من أجل تفعيل هذا النشاط لابد من التكفل التام بهذه الشريحة، والتكفل بهم المقصود به، أن تنظم لهم أوقات للعمل خارج الجامعة، وتنظيم رحلات لهم داخل البلاد، والعيش أياما مع أفراد الشعب في مزارعه، ومصانعه، ويطلعون عليه كيف يعيش حياته اليومية، وكيف يمارس عاداته في الخصومات، والزواج، والعبادات، وتربية الأطفال، والحيوان كيف يعالج بؤسه، ويعيش جهالته، وأميته والغرض من ذلك هو تشبع الشباب المسير في الوقت القريب بالمبادىء الوطنية، ومشاكل مجتمعه الحقيقية بحيث تصبح عنصرا من ثقافته يفكر فيها، وهو يطالع الكتب، ويمارس الإمتحانات، ويناقش الأساتذة في قاعت الدرس.

يعني ذلك التكوين العلمي الوطني للطالب،" فإذا عمر الطالب وقته في الجامعة بالمواد الوطنية الجزائرية، والعربية، وعمر وقته خارج الجامعة بالثقافة العملية في صميم الشعب، عندئد سيكون الطالب جزءا حقيقيا من الشعب"....[5]

إن ما يجعل هذه المناقشة أكثر فعالية هو إدخالها حيز التطبيق العملي،رغم كون أغلب القضايا التي يتحدث عنها المقال موجودة في المجتمع الجزائري حاليا في سنة 2012. في هذا الصدد تستوقفني مقولة إبن خلدون إن المجتمعات ترغب في الخير، ولكنها لا تتبعه إلا إذا أكرهت عليه.

إن مشاكل الطلبة تقريبا موجودة في كل المجتمعات الغربية الأوربية، والآسيوية ... مهما كان النظام المتبع إشتراكي، أو رأس مالي،لكن الشيء المييز أن طبيعة المشكلة تختلف من مجتمع إلى آخر،إن الوضع الثقافي والذهني،و المتناقضات الإجتماعية، للجزائر في مراحلها التاريخية، وفي وقتنا الحاضر قد يعطي نوع من الخصوصية لمشاكل الطلبة.إن مسألة الذهنيات المشار إليها تمس النخبة والإطارات في الجزائر، والمقصود بها مسايرة للأنظمة الإدارية الغربية، ونمط الحياة الغربي في التسيير، والتعليم...دون مراعاة إمكانيات الشعب (الطلبة) الذين جاءوا من بيئة متخلفة، ولم يهيؤا جيدا لتلقي ما هو معقد،بالإضافة إلى القطيعة الموجودة بين النخبة في الجزائر، والطبقة الشعبية، والقطيعة تتمثل في القطيعة الثقافية والإجتماعية، والترفيهية، والسياسية...، هذه الذهنية قد تبعدنا عن جوهر مشاكلنا الإجتماعية، رغم أن لهذه الظاهرة أوجه إيجابية الحفاظ على ما هو راق في الحياة اليومية لكن المشكل يكمن في كيفية تلقين وتهيئة البيئة الملائمة(العلمية والفكرية والإبداعية) المكونة من فئة الشعب الذي عايش مراحل إجتماعية صعبة قد أثرت على نوعية تفكيره، وطريقة حياته، وتحديد أولوياته وقدرته على الإستثمار الذاتي في الحياة، وذلك بدأ من الثورة الفرنسية التي إنتهت عام 1962، والتي دامت القرن وثلاثين سنة،ثم الثورة الشعبية التي دامت عشر سنوات إنطلاقا من سنة 1990 إلى أن إنتهت بمقتضى سياسة المصالحة الوطنية، والتي تمت بإجراء إستفتاء شعبي حوله في سنة 2007.

إن للجامعة دور كبير في تحليل هذه الأوضاع الإجتماعية بحيث تعتبر مخبر المجتمع أي لابد أن تعتني بدراسة تاريخ البلاد، وتدرس وضعها الجغرافي الإنساني، وتدرس تقاليدها، وعاداتها، وثراتها االمعنوي، والمادي، وأن تكون مصدر المعلومات الصحيحة المتعلقة بالحياة الإجتماعية.

2. من ثقافة الشعب الجزائري و النخبة منها:

إن الحديث عن ثقافة الشعب الجزائري يمثل مجالا واسعا جدا،و في حديثنا عن عامل الثقافة يتوجب بنا الأمر الإشارة إلى الجمهور الجزائري ،و خصائصة الإجتماعية في عدة قضايا ثقافية، ولعل أبرز الأمور الملاحظة هو النقلة النوعية اليوم في المجال الثقافي في الجزائر في مرحلة مابعد الحداثة، والتي بدأ الشعب الجزائري يتكيف معها سواء على الصعيد العلمي أو الهوايات، الرياضة، الموسيقي، الشعر والأدب، وحتى العمل التطوعي...، رغم الحركية الثقافية التي تعرفها الجزائر اليوم نتيجة الإستقرار السياسي النسبي، والإجتماعي، لم يمنع غياب خاصية من خصائص هذا الجمهور ألا وهي حملات النقد المرير الذي إشتهر به الجزائريون وصعوبة إرضاء أذواقهم، فيعتبر من الأمور الصعبة،فمن ناحية أن المجتمع الجزائري لا يقبل العمل والإنتاج الهزيل، ومن ناحية أخرى لا نبدل الجهود الكبيرة التي يتطلبها الإنتاج الجيد،نجد هذه الخاصية في جميع الأبعاد الإجتماعية، والسياسية، والثقافية والدينية، والحضارية، والعلمية... ،هذا العامل حسب رأي الباحث قد يسبب في تعطيل الإنتاج الإجتماعي في جميع أبعاده المذكورة،حيث أصبح من يقدم مسرحية،أو مقال، أو ينشر كتابا أو يؤلف قطعة موسيقية، إلا وهو يشعر بهيبة ورعب من الجمهور.رغم ذلك فإن المجتمع الجزائري اليوم يعرف تقدم ملحوظ في المستوى الثقافي وإشتداد التنافسية والتي مع مرور الوقت سوف تنتج الجودة رغم الصراعات التي يعرفها اليوم في قضاياه الثقافية والإجتماعية.

إن المسألة الثانية بعد مسألة القيمة التي تحدثنا عنها بإختصار هي مسألة الشخصية والعمل الثقافي أي الشخصية الوطنية، إن قضية الشخصية، والهوية إن صح التعبير وبروزها في العمل الفني، أو الفكري، حسب رأي الباحث تأتي بعد فترة وبعد تجربة وخبرة (تجربة وتعلم كل ما هو خارج عن إطار الهوية الوطنية)،أي تأتي في المرحلة الأخيرة، تأتي مرحلة الكم أولا، ثم تليها مرحلة الجودة الفنية والإتقان في الآداء، ثم تأتي مرحلة إبراز الشخصية إن هذا الحديث ينطبق على المجال العلمي والفني، والثقافي، ويخص بالدرجة الأولى فئة النخبة من طلبة، وأساتذة ومسؤولين في المجتمع، وإطارات،إذا بعد مرحلة الكم ثم مرحلة الجودة يأتي العمل الطبيعي الخالي من التكلف، وآثار الإنفعال، والتقليد والحشو.

إن العامل المساعد لعامل الخبرة هو معايشة الثقافة الجزائرية، والتركيز في فهم معالم داخل وخارج المدينة، ومحاولة إستعادة هذه الشخصية في معاملاتنا وتفكيرنا ومشاعرنا،إن عملية التحول هذه تتطلب الوقت منا بالإضافة إلى ضرورة تهيئة الظروف المناسبة لها " إن مجاعتنا الفكرية مهما كانت ملحة فلا بد لها من أن تخضع لقانون الفصول الطبيعية أي أن ما نزرعه اليوم ينبغي أن ننتظر الفصل الذي تنضج فيه ثماره ...ومايجب أن نفعله هو أن نحسن عملية الزرع ولا نهمل رعايته".... (6)

إن بعض المظاهر والسلوكات التي قد تأتي من الفئة المثقفة في المجتمع قد تكون سلبية في بعض الحالات، وتكون أنعكاساتها سلبية على الفرد البسيط في المجتمع، فإذا أخدنا مثال من صميم المجتمع الجزائري مثلا، والمتمثلة في الطلاق كم حالة طلاق تحدث في المجتمع، وكم من حالة تكون فيها المرآة وأبناءها هم الضحايا لكن السؤال المطروح ما هو ردت فعل المثقفين في الجزائر ونقصد بهم المحامين، والذين عادة يطلبون مستحقات مالية ممن هم أضعف، وأوهن، في المجتمع لغاية الفصل في القضية، هذا الحديث لا ينطبق على كل محامينا في المجتمع الجزائري لكن الطبعة التجارية موجودة بكثرة، وهذا مثال قد نبرز به بعض التناقضات فمن المفروض الهم الأول للإنسان المثقف بعلمه التفكير في غيره الضعيف في المجتمع،فإذا فقد هذا الشعور النبيل داخل المجتمع لا بد من تدخل السلطة للفصل في ذلك، من خلال تحديد الأسعار لأن هذا القانون في الأساس مستوحى من القانون الغربي، لكن الفرد الغربي له السلاح لكي يدافع على حقه وحق أولادة، بحيث يستطيع التعايش مع مثل هذه القوانين، عكس المواطن الجزائري الذي لا يعرف تماما هل يعمل لكي يعيش أو لكي يدفع أجرة المحامي،هذا مثال يبرز أن التوازن الإجتماعي ضروري وخاصة في الطبقة المتوسطة التي تمثل أغلبية المجتمع الجزائري، وأن الفئة المثقفة لابد من متابعتها مند المراحل الإبتدائية من مشوارها العلمي ببرامج علمية كثيفة في الحياة المهنية، والمدنية، إضافة إلى ذلك لا بد من سن القوانين التي تتلائم ونوعنا البشري وعاداتنا ومستوانا الإجتماعي والثقافي والإقتصادي.

إن مشاكل الثقافة في الجزائر قد تمثل مجال معقد في أغلب الأحيان،إن الوسط الشعبي له ممارساته، وعاداته، ومستواه الإجتماعي، في الناحية الأخرى يوجد ما يسمى بالحركات الإصلاحية الثقافية في المجتمع التي تتعدد شعاراتها، ومناهجها، ومبادئها لكن من بين الإشكالات المطروحة في العالم الثالث هو وجود نوع من الهوة بين الوسطين في المجال الثقافي إن المساهم في حركة الإصلاح الثقافية لابد أن يتجرد من وسطه إذا كان هذا الوسط(برجوازي)، من شئن هذا التجرد أن يمنح التساوي بين الجماهير الواسعة على كثرتها.

إن جميع علماء الإجتماع يرجعون إلى فكرة آثار الإستعمار على المجتمع الجزائري، وأنا أؤيد هذا الطرح في التحليل الثقافي ففي وقت مضى كانت السلطات الفرنسية تفرض على الشعب الجزائري المستضعف الإنخراط في الثقافة الغربية أويتم عزله نهائيا مع أغلبية فئة الشعب المحرومة، فكانت الإطارات الثقافية في الجزائر تتميز من ناحية بروح شعبية نسبيا في إتجاهها، وإنتمائها الإجتماعي، وتتميز من ناحية أخرى بالمستوى المتوسط من حيث تكوينها وإنتاجها الثقافيين، فئة اللغة العربية، وفئة اللغة الفرنسية، وقليل من دوي الثقافة باللغتين " إذا كانت فئة اللغة الفرنسية قد إرتبطت بمجتمعها من حيث العاطفة، والشعور، ومحتوى الإنتاج فإنها منقطعة من حيث أداة التبليغ ".... [7] أما الفئة العربية فهي تحمل نفس العاطفة ونفس الإهتمام للفئة الإجتماعية الشعبية، والمحرومة، لكنها تعاني من مستوى التبليغ نوعا ما، هذا في رأي الباحث أصبح اليوم يشكل عائق كبير داخل مؤسسات المجتمع الجزائري التي تعمل وتكون وتخرج إطارات الغد هذا الصراع اللغوي قد يخلق في الغالب فئتين كل فئة لها حلفاءها، وتدافع على آراءها، وتحاول أن تفرضها. ربما المشكل لم يتضح بعد، ربما النقطة الجوهرية التي أريد الإشارة إليها حينما يصبح هذين الفئتين يفكرون بمعنى" الآنا "، أن تصبح تهتم بشؤونها الخاصة وشؤون أعضاؤها الذين لهم نفس الإنتماء اللغوي، والثقافي والجغرافي، على حساب مصالح المؤسسة، والمجتمع، والوطن.

إن ما أفرزه الإستعمار جد سلبي كما له جوانب إيجابية، ويتمثل في تلقين الجزائريين نوع من العلم الراقي مما كان متوفر لدينا قبل الإحتلال، هذا الواقع لا ينكر. إن الواقع الذي نعيشه اليوم من حيث اللغة في المجتمع الجزائري مشكلة لها تاريخ طويل في المجتمع العربي مند بداية الإختلاط في العصر الأموي إلى اليوم. إن توحيد البرامج التعليمية، والمؤسساتية شيء مهم جدا في تيار إستراتيجي، وطني من شئنه أن يقلل من حدة الصراع اللغوي، وتشكيل التحالفات على جميع المستويات، فكلمة وحدة تعني لا بد من التنسيق بين أعضاء النسق مهما كان وأعضاء الهيئة الإدارية في المحتوى .يبقى طريقة الإلتقاء لابد أن يترك مجال الحرية هنا، أما إذا كان الإختلاف في المنطلق إضافة إلى الإختلاف في البرامج قد يحدث خلل، وإنشقاق خطير ينعكس على أهداف المنطومة أين كانت وظيفتها. لأن التكوين الأنجليزي، العربي،... مجرد وسيلة حسب كل نمط أما الرسالة في المجتمع الجزائري أهم، بمعنى لابد من تسخير هذه الوسيلة (اللغة) مهما كانت في تحقيق رسالة واحدة من خلال التنسيق المستمر والمتواصل والعمل في إتجاه واحد التقدم وتحسين الوضع الإجتماعي العام.

يعتقد الأستاذ مصطفى الأشرف، في رأي مخالف لرأي الباحث، أن ما دفع بالشعب الجزائري إلى إعتناق الثقافة الفرنسية ولغتها ليس كون هذه الثقافة، ولغتها قد فرضتا عليه فرضا بقدر ما يرجع السبب إلى ان الشعوب ذات التقاليد العريقة في الثقافة مثل الشعوب العربية لا تستطيع أن تقبل الفراغ الثقافي بسهولة حتى لو إضطرت إلى سد هذا الفراغ بتبني ثقافة ولغة أجنبيتين عندما تنعدم وسائل الثقافة بلغتها الوطنية.

وفي هذا الصدد قد أستعين برأي الأستاذ أسعد السحمرواني... * والذي أجري معه لقاء في حصة تلفزيونية جزائرية يوم 08-06 - 2012.

كان محتوي اللقاء حول الثقافة الجزائرية والعربية، في حوار دام قرابة الساعة،بداية يبدأ الأستاذ بالإشارة إلى أهم مكون ثقافي في المجتمع الجزائري وهو فكرة المقاومة حيث سرح بإحترامه للعلماء، والمناضلين، والمقاومين الجزائريين،ربما من بين الأمور الشائعة عن المجتمع الجزائري في العالم العربي والعالمي. إن فكرة الثورة، والمقاومة،حيث نعتبرها من المميزات الإجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، وأحيانا نري أن للمجتمع الجزائري قدرة على المقاومة في الحياة اليومية لمختلف الظروف الصعبة المحيطة به، والتأقلم معها أي ببساطة له روح التحمل، وربما كذلك له روح التنازل،الذي توارثها عبر عدة أجيال فالمجتمع الجزائري في يومياته البسيطة متنازل على عدة قضايا،في الأكل وأوقات الراحة واللباس ... هذه الفكرة أستخلصتها من واقع مجتمعي وملاحظتها ،.بالرجوع إلى الأستاذ أسعد حيث يشير الأستاذ إلى قضية الشباب اليوم فيقول أنهم يعيشون أزمة هوية قال بصريح العبارة أنهم يتسكعون على أبواب (الحانات،الملاهي) ويهوون ما فيه تمييع للشخصية، سحيث يرى أنها من تأثير الإستعمار القديم، والحديث اليوم في العالم (إستعمار الأفكار)، حيث يري أن اليوم على الشباب الجزائري، والعربي التمسك بقضية المقاومة العزة، والشرف، وتحقيق مبدأ الديمقراطية في نفس الوقت، وهذه الفكرة قد أشار إليها الأستاذ أسعد أنها من عصارة كتابات عبد الرحمان الكواكبي، والشيخ البشير الإبراهيمي. أما حول قضية المثقف ودور النخبة في المجتمع تمت مساءلة الأستاذ أسعد عن المفارقة في الدور بين عبد الرحمان الكواكبي،مالك بن نبي، محمد عبده، إبن باديس...ودور النخبة اليوم، في عرض قضاياها، فكان الجواب أن المعطيات التاريخية، والإجتماعية تغيرت بالفعل لكن نخبة اليوم

مثل نخبة الأمس فقط لابد من إتاحة الفرصة لها من أجل الظهور، والإبداع مشيرا إلى دور الإعلام في ذلك كما أشار الأستاذ بعد ذلك ، إلى دور العولمة بعد سقوط الإتحاد السوفياتي والتي طورت من قبل أمريكا على يد مفكريه (فوكوياما)...()، وغيرهم، حيث أشار الاستاذ أسعد إلى رأيه كونه يميز بين فكرة العولمة ،و العالمية فالعالمية بمعنى التفتح على الآخر، والتعايش، والإستفادة من الإجابيات أما العولمة هو إتخاد شكل معين من الحياة يكون الإنسان فيه في موقف المجبر، وليس المخير بمعني إلغاء الآخر. إن الباحث يشاطر آراء الأستاذ أسعد السحمرواني في بعض قضايا الشباب العربي وتحدياته الراهنة، وخاصة الشباب المثقف، إن تحديات اليوم تملي علينا الإمان بقوة بفكرة الدولة الجزائرية، وإستغلال كل الإمكانيات المتاحة البشرية ،والمادية من أجل خدمة، وتطوير مجتمعنا، والغلق على أطماع الدول الأخرى ممن تبحث دوما على مصادر الثراء والتسويق وزيادة النفود.

الجامعة الجزائرية ومجتمع المعرفة:

شاع في السنوات الأخيرة إستخدام مصطلح مجتمع المعلومات،إذ على الرغم من ظهور هذا المصطلح مند ثلاثين عاما ،إلا أن التطورات الهائلة التي حدثت في الفترة الحالية قد عظمت من إستخدام هذا المصطلح فضلا عن ظهور مصطلحات كالعولمة الرقمنة، وعلى الرغم من تداول هذا المصطلح إلا أنه يحمل مفاهيم غير واضحة أحيانا، وغير متفق عليها.إن العصر الحالي يخضع لمعايير ويتميز بظهور تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات فسمات المجتمع، وخصائصه المتغيرة ،وكذلك نظامه المتغير تؤدي على وجه التحديد وبكل وضوح إلى نشأة مجتمع المعلومات والمعرفة.

يأتي مجتمع المعلومات بعد مراحل متعددة مر بها تاريخ الإنساني، وتميزت كل مرحلة بخصائص، ومميزات حيث شهدت الإنسانية من قبل تكنولوجيا الصيد، ثم تكنولوجيا الزراعة، ثم تكنولوجيا الصناعة،و بعدها تكنولوجيا التحكم في المعلومات الأساسية (قراءة، كتابة، حساب)، ثم عصر التحكم في وسائل الإتصال والبرامج، ونظم المعلومات، التي رسمت الملامح الأولى لمجتمع المعلومات هذا الأخير يتميز " بالتركيز على العمليات التي تعالج فيها المعلومات، والمادة الخام الأساسية به هي المعلومة التي يتم إستثمارها، بحيث تولد المعرفة معرفة جديدة، وهذا عكس المواد الأساسية في المجتمعات الأخرى حيث تركز على الإستهلاك، أما في مجتمعات المعلومات فالمعلومات تولد المعلومات، مما يجعل مصادر المجتمع المعلوماتي متجددة ولا تنتهي"...، [8] أي تنظيم شأن الفكر، والعقل الإنساني بالحواسب ،و الإتصال والذكاء الإصطناعي، ونظم الخبرة. " ويقصد أيضا بمجتمع المعلومات جميع الأنشطة والتدابير، والممارسات المرتبطة بالمعلومات إنتاجا وتنظيما، وإستثمارا ويشمل إنتاج المعلومات أنشطة البحث، والجهود الإبداعية، والتأليف الموجه لخدمة الأهداف العلمية، والتثقيفية"....[9] فالمعلومات التي كانت مجانا في السابق تصبح الآن باهضة الثمن من خلال مرورها بالمعالجة الآلية، والتي تتم عادة بهدف الخواص الذين يستغلون الفرصة من أجل الربح. أما التغيير، وهذه الثورة الحقيقية في المعلومات التي أقلبت حياة العالم،نذكر على سبيل المثال الثورة التي أحدثتها الشبكات الإجتماعية(فيسبوك،تويتر) في العالم وخلق مايسمى بالمجتمع الشعبي العالمي، والمجتمع الإفتراضي، إن هذه النقطة(الثورة والحركية) مست جميع الأنظمة، والأشكال الإجتماعية في المجتمع (النظام السياسي الإقتصادي والإجتماعي والثقافي)،" إن لهذا المجتمع – مجتمع المعلومات ملامح – إيجابية وأخري سلبية في المنظومة الإجتماعية العالمية والمحلية،بالإضافة إلى الملامح السلبية التي تمارسها وتفرضها الدول المسيطرة على الوسائل التكنولوجية من خلال نشر لثقافتها عبر الوسائل التكنولوجيا "...[10] فالسؤال المطروح ماهو موقع المجتمع الجزائري بالنسبة إلى مجتمع المعلومات؟ ماهي الإستعدادت الأساسية التي تتبناها الجامعة من أجل التكيف مع الوضع العالمي الجديد؟ ما هو دور الطالب الجامعي في ظل البيئة الإجتماعية العالمية الراهنة؟ مادور الأستاذ الباحث في الحدث العالمي؟ هل المجتمع الجزائري في مستوى لابأس به في النفدية إلى وسائل تكنولجيا الإعلام والإتصال ومن تم مجتمع المعرفة؟ ما هي الإستراتجيات الواجب إتباعها وطنيا، ورسميا من أجل بناء قيمة إجتماعية موحدة، والحد من الإزدواجية نحو المضي إلى مجتمع المعرفة؟ وهذا الإشكال مطروح على أساس التغير في مفهوم القيمة الذي يتغير من باحث إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر،ما دور الجامعة في توجيه المجتمع إلى فكرة الإبداع والإنتاج بدل الإستهلاك؟ ما دور السياسة التعليمية في رسم مسار النخبة، والحد من ظاهرة شعبوية الجامعة؟ هل نحتاج إلى بناء تشريعي متجانس ومرن وصارم في الوقت الراهن من أجل تفعيل الإستراتجية الإجتماعية على المدى البعيد؟ هذه الأسئلة على إختلاف مستوياتها وإتجاهاتها إلا أن الجزء الأكبر منها يتعلق بالمورد البشري أي الإنسان، أي المجتمع وبالأخص النسق المجتمعي الجامعي (طلبة، أساتذة، إدارة)، لدى يتضح للباحث أنه علينا اليوم توضيح موقعنا، وموقفنا، وإتجاهاتنا الإجتماعية، وقناعاتنا من أجل

السيطرة على خطر الإنزلاق الإجتماعي على الأقل ضمان إستقرار الوضع الحالي مدة زمنية معينة،و يأتي هذا من خلال التركيز على فهم منظومة التعليم العالي كطرف أساسي في العملية، وتفعيل الأدوار، و التأهيل، وتغيير الإستراتجيات إذا إقتضى الأمر لأن الجامعة هي بمثابة عقل المجتمع إذا تحدثنا بالمقاربة الوضعية في الفكرالسوسيولوجيي. "إن أهم عناصر قيام مجتمع معلومات مبني على قيمة المعرفة، وإتاحة عدالة للوصول إلى المعلومات، هي تنمية الإدراك البشري، ومهارة إستخدام تكنولوجيا المعلومات"...[11]

إن القراءة الأولية توجهنا نحو حقيقة أن المجتمعات مهما إختلفت قيمها فإنها تركز على العنصر البشري بدل الوسائل في بناء مجتمع معرفة،هذا الأخير الذي يتلائم مع تركيبة إقتصادية، وإجتماعية، وسياسية، ودينية، وإستراتجية وبنى تحتية خاصة بكل مجتمع،إن الملامح الإيجابية لهذا المجتمع تتمثل في: [12]. ثورة المعلومات أدت إلى تعدد مصادر المعلومات بأشكالها، وشعب موضوعاتها وتداخلها، وظهور تخصصات جديدة فجاءت تكنولوجيا المعلومات لربط العالم في مجتمع معلوماتي واحد.

- حاجة الإنسان المعاصر للمعلومات المطلوبة بسرعة كبيرة، ودقة مناسبة وشمولية على إختلاف موقعه الجغرافي.
- حصل تطور هائل في مجال تكنولوجيا المعلومات والإتصالات من حيث كمية تخزين المعلومات، وسرعة معالجتها وإسترجاعها.
- أصبحت المعلومات بمثابة سلعة تسوق، ومورد أساسي في التنمية الإقتصادية والإجتماعية، والإدارية، والعلمية، والسياسية، وتحولت المجتمعات الصناعية إلى مجتمعات معلوماتية .
- ظهور الذكاء الإصطناعي المرتبط بالحواسب الإلكترونية التي يعتقد العديد من الباحثين أنها ستحل محل الإنسان في القيام بالعمليات الإبداعية .
- ظهور علم جديد هو علم المعلومات ،يؤكد على التعامل المتطور مع مصادر المعلومات العلمية، والبحثية، وتوثيقها، وإختيار المناسب منها للتخزين، والمعالجة، ومن تم إسترجاعها للباحث المناسب في الوقت المناسب.

أما فيما يخص الملامح السلبية فتتمثل في:

- تغيب القيم الأخلاقية شيئا فشيئا، وإتجاهها إلى الزوال على المستوى المؤسسي والفردي.
- "توجيه الرأي العام، والسيطرة على إتجاهه الفكري في بعد جديد من قانون السوق إلى السيطرة السياسية" ... [13]
- التوزيع الجغرافي الغير متناسب للمعلومات ،ففي الوقت الذي تتوفر فيه كل أنواع المعلومات في منطقة محددة من العالم يوجد فقر شديد للمعلومات في مناطق أخرى.
- السيطرة على المعلومات، وأمنية المعلومات، وقرصنة المعلومات، وفيروسات الحواسب أصبحت من الأمور التي تقلق الدول النامية،والصناعية.
- الحواجز اللغوية خاصة، وأن معظم المعلومات هي ليست بلغة الدول النامية.
- إستخدام تكنولوجيا المعلومات بدافع التباهي الإعلامي أو الإجتماعي أكثر منها إنتاج المعلومة.
- تسطيح العقل البشري نظرا لإعتماده على الذكاء الصناعي.

أمام هذه الملامح السلبية يبقى دور المخطط،، والمسير، والعالم، والمتخصص في إنتاج المعلومة، والتخطيط الإجتماعي التريث في نشر مخطط التغيير الإجتماعي في المجتمع – الجزائري –، لأن نجاح مجتمع المعلومات، وإستقراره ليس بالأمر السهل، والمضمون في نفس الوقت طبعا للتركيبة الإجتماعية، والثقافية، والدينية والإقتصادية للمجتمع الجزائري، فمن الناحية السوسيولوجية يمكن القول أن صعوبة التحول هي ثقافية بالدرجة الأولى لأن كل تغيير في القيم الثقافية يقتضي الموافقة الغير رسمية للمجتمع لإدخالها ضمن المعايير الثقافية الموجودة (الهاتف النقال تم إعطاء الضوء الاخضر من قبل المجتمع من أجل تبنيه ثقافيا). ثم رسم الإستراتجية بالدرجة الثانية. إن النظر إلى الجامعة كطرف فكري مهم في بناء مجتمع المعرفة، من خلال الحفاظ على إستقراره، فهي تعتبر مؤسسة للتنمية من خلالها تتم العملية المؤهلة لتطوير المجتمع. "ما نزال نخطط للتعليم العالي ونضع مناهجه، ووسائله منطلقين من نظرة (ماضية) نظرة تحسب المستقبل مجرد إمتداد وإتساع للماضي، حيث أن الفعاليات غير قادرة على مواكبة المشروع الحضاري الجديد والحديث"...[14]، ما تزال أدوار التعليم العالي من تخصصات علمية، وفروع يحكى عليها من باب التاريخ والخوف من الخوض في خطوات ورؤي واضحة تبين معالم الحضارة العلمية الحديثة، وآفاق تطويرها، على هذا الأساس إما أن يغير التعليم العالي بنيته إنطلاقا من حاجات التغير العلمي التكنولوجي، والحضاري التي تجري في عصرنا وتغيره تغيرا جدريا، وإما يظل بعيدا عن الأهداف التنمية الحقيقية متخلفا عن الركب ويكتفي برسم العلاقات الكمية الرقمية التي ينبغي أن تتم بين التخطيط للتعليم العالي وتقدير حاجاته، وبين تنمية إقتصادية إجتماعية التي تتماشى مع مجتمع المعرفة الحالي والعالمي. إن

الطالب اليوم والباحث هو المصدر الوحيد للثورة والتغيير الإجتماعيين الإجابية في إبتكار كل ماهو علمي في إطاره المادي، والمعنوي الذي يسهل الحياة ،إذا تكلمنا عن حياة المجتمع الجزائري، الذي يسعى إلى تطوير قدراته الإبداعية ،والإنتاجية،إن بنية مجتمع المعرفة تقتل في طياتها ظواهر سلبية عديدة في المجتمع أرهقت علماء الإجتماع في العالم الثالث، العلاقات الإدارية مع المواطن، السوق السوداء والإقتصاد الغير رسمي، مستوى الخدمات الإجتماعية، البطالة...

إن مجهود الأستاذ والمأطر في الجامعة يتمثل في تنوير، وتوعية الطالب من خلال التحليل، والتفسير، ولإستنباط، والإستدراك، وهو الوحيد القادر أن يوجه الإندماج في النظام الإجتماعي الجديد بالحفاظ على مقوماتنا وهويتنا، أن يقوم الأستاذ بحوار حول الدراسات السابقة ومقارنتها بالطروحات، والبحوث الحديثة لتبيان أوجه الإختلاف، والشبه بين الظواهر بطريقة فك صورتها الشاملة وتركيب عناصرها الجزئية، بالإضافة إلى تدعيم هذه الطريقة البيداغوجية بوسائل التكنولوجيا والإتصال،مع التشجيع على إستخدام الجيد للأنترنيت وإنتاج المعرفة، التركيز على العمل التطبيقى وتنمية روح العمل الجماعي، والمقارنة بين ماتوصل إليه الطلبة في الحقل الميداني من أجل التدريب على الإنتاج المعرفي والبحث، هذا الحديث ينطبق بشكل كبير على العلوم الإجتماعية والإنسانية.

إن الخطط الإستراتجية التربوية المعاصرة ترتكز على حاجات البلد والمجتمع، إمكانيات البلاد، والمجتمع،الوقت الذي يجري فيه التطبيق. إن الهذف الأساسي هو الإصلاح، و تطوير، والتجديد في أنماط التكوين، و التعليم تبعا للنسق الإجتماعي، والثقافي للتركيبة البشرية، إن بناء الإنسان يتطلب مستوى عاليا من الوعي بأهميته في معادلة التنمية البشرية المستدامة لدى كل من بيدهم الحل والربط من أهل القرار.

ويتطلب كذلك مستوى ثقافيا، وعلميا، وإداريا على جانب كبير من الأهمية لدفع الخطط، والإستراجيات، والبرامج القادرة على إدارة التنمية البشرية بصورة فعالة،و يشكل القرار السياسي، والإرادة السياسية التي تعطي إستراتجية التنمية البشرية ،هذه المسألة أكبر مما هو عليه الأمر في تحقيق، وإنجاز الجوانب المادية في العملية التنموية، رغم التكامل بين الركنين المادي والمعنوي.

إن مسألة الطلبة في المجتمع الجزائري تحتل مكانة رئيسية ضمن المسألة الإجتماعية في مختلف دلالتها، وأبعادها العامة،و هي ذات أبعاد إجتماعية وتربوية ونفسية، وثقافية متعددة،فالطلبة هم أمل المستقبل هم الذين سوف يتحملون مسؤوليات تنمية المجتمع.

إن البحث في إشكالية العلاقة بين الشباب، والمجتمع، والتنمية تستوجب الإشارة أن الطلبة الجامعيين ليسوا طبقة إجتماعية مستقلة عن سائر طبقات المجتمع،كما أن مكوناتها، وإنتماءاتها الإجتماعية–الطبقية وإرتباطاتها الثقافية متعددة، إنهم رغم ذلك قوة تغيير أساسية،" وكان إعلان عام 1985 سنة دولية لشباب كل مجتمعات العالم هو لتوجيه الإنتباه إلى الدور التاريخي الذي يمكن أن يلعبه الشباب في حياة الشعوب ومسيرتها الإنمائية".... (15)

إن التدليل لما يواجهه الطلبة في المجتمع الجزائري من مشكلات على أكثر من مستوى، وتنمية طاقاتهم، وتحريرها مما يعيق تفتحها، و إنطلاقها، والإهتمام بشؤونه التعليمية، وتربيته، وتكوينه في سبيل العطاء والإبداع، وتأهيله للإندماج الإجتماعي، لهو واجب المجتمع الحريص على المستقبل.إن أزمة الطلبة الشباب هي أزمة المجتمع، وأزمة أهدافه، ومشاريعه، وأزمة فلسفته التربوية وتصوراته. إن الإنتماء في العصر الحالي يملي على المجتمع إشباع الذات من الحاجات الأساسية المادية، والمعنوية، وأن الطرف الأساسي هو الطالب، والإنسان المتعلم العارف لأولويات العصر، المتحكم في المعلومات،الإنسان المبدع المبتكر ذو التفكير المستقبلي الذي يعطي للعقل دوره في الحياة الدنيا ،حيث يشكل العلم العصب الأساسي للنمو الإقتصادي " تسمح المعلومات للأشخاص في كل مجالات الحياة من البحث وتطوير وإستعمال وخلق المعلومة من أجل أهداف شخصية، إجتماعية، مهنية، تربوية".... (16)

وبناء على ما جاء في بداية المقال العلمي حول خصائص وثقافة المجتمع الجزائري، نستنتج أننا لم نحدد بعد ملامح الطريق التي يجب أن نسلكها كمجتمع كلي، كما نستنتج أن الطلبة اليوم يفتقدون أشياء كثيرة تبعدهم عن الحياة المهنية الفعالة وخدمة المجتمع،بالإضافة إلى نقص الوعي، إن الباحث لا يلقى اللوم على الطلبة فقط لابد أن نستنتج كذلك أن دور القائد هنا مهم جدا،في تغيير ذهنيات الطلبة، ونظرتهم للمستقبل الفردي، والجماعي، وتوجيههم أحسن توجيه من أجل تحقيق الإستراتجية الإجتماعية العامة. هذا لا ينفي من خلال تجربة الباحث في جامعتين من جامعات الجزائر(قسنطينة، تلمسان) أن الملاحظ عن الطلبة أن لهم إستعدادت خارقة، وطاقات خارقة، ولهم حس وطني وديني، ووعي

ثقافي، وإجتماعي كبير فهي إيجابيات قد نحسد عليها، فقط نحتاج إلى تحديد المعايير في الجامعة، والتوجيه وتطبيق القوانين العملية الصارمة حسب الأهداف المرجوة.

إن الجامعة تلعب دور كبير في مجتمع المعرفة تتمثل في التحول الجدري لأدوارها الكلاسكية في إنتاج وتنظيم وتطبيق المعارف . أمام هذه الأهمية توجد حقائق متناقضة تعتبر بمثابة التحديات للجامعة في ظل مجتمع المعرفة ألا وهي التمويل، الخوصصة، تحدي مصطلح (التسليع أو التسويق) في خدمات التعليم العالي. هذه التحديات تواجه البلدان النامية والبلدان التي لا تأخد في مقدمة أولوياتها البحث العلمي، عكس الدول المتفوقة في مجال التعليم العالي مثال على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية يكون التأثير أقل حدة نوعا ما،مقارنة بأندونيسيا أو العربية السعودية...

هناك بعض المهتمين الذين يطلقون تسمية (macdonalisation du savoir)، فالسؤال المطروح هو هل هذا التوجه قد يعيق الأدوار المنوطة والمعروفة للتعليم العالي في الدول الضعيفة في مجاله ؟.

نحو سوق التعليم العالي مقاربة مادية:

إن مصادر التمويل للتعليم العالي اليوم لابد أن تعرف الدعم مع الحفاظ على هذف التعليم العالي والدقة والجودة. عادة مصادر تمويل التعليم العالي تكون حكومية ما عدا في البلدان المتقدمة مصدرها الطلاب أنفسهم وأولياء الأمر من خلال نظام الضريبة وتطبيق الأسس التجارية مثل ما هو معمول به في الولايات المتحدة الأمريكية. إن التعليم العالي المعمول به في معظم الدول النامية على غرار الجزائر يعمل بمبدأ تساوي الفرص التعليمية على عكس الدول الأوربية الذي بدأ القطاع الخاص يجتاح التعليم العالي شيئا فشيئا حتي وصل فيها التعليم العالي سواء الخاص أو العام إلى مبدأ المنافسة حيث أصبح الطالب مثل الزبون يحصل على تعليم معياره الجودة بناءا على ما يدفعه كتكلفة مقابل ذلك، مع إشتداد المنافسة في نفس الوقت بين الجامعات على إستقطاب الطلبة يالإضافة إلى إستدعاء الأساتذة الأكثر شهرة ومهارة بيداغوجية مع تقديم كل الحوافز المادية لهم من أجل التأطير في التعليم الخاص.

إن النظام الخاص يختلف من حيث المبدأ مع التعليم العام فالأول الذي يستند على مبدأ الترويج، وتسويق المعرفة، والمنافسة عكس القطاع الثاني الذي يضمن مبدأ تعميم التعليم العالي على شرائح المجتمع.

لقد نبه وحدر كثير من الخبراء على قضية تجارة التعليم العالي في سنة 2002، نجد السوق العالمية للتعليم العالي سجلت نسبة ثلاثة في المائة في مجموع سوق الخدمات،كما سجلت الولايات المتحدة الأمريكية مداخيل سنة 2000 نشرتها L'OCDE بـ 10.29 مليون دولار من أموال الطلبة الأجانب، أي ميزانية تمويل التعليم العالي في أمريكا اللاتنية.

تعد أمريكا أول البلدان التي تستقبل الطلبة الأجانب، بعدها تأتي ألمانيا فرنسا أستراليا نيوزيلندا راجع إلى سياسة البلدان إتجاه التعليم العالي في محاولة جعله عالمي رغم إختلاف في السياسات هذه البلدان ذاتها فيما يخص الخوصصة التعليمية نجد أمريكا من البدان المتوسطة من حيث الخوصصة، لكنها من الأوائل في العالم من حيث الإنفاق المادي، نجد ألمانية من الدول الضعيفة في خوصصة التعليم العالي.

نجد مصطلح جامعة المؤسسات خلق هذا النمط من التعليم العالي في بعض الدول من أجل خلق التوافق بين الواقع وإحتياجاته وإمكانيات البشرية والعلمية.

إن التعليم العالي أصبح اليوم حديث الساعة ومن إهتمامات الدول على إختلاف سياستها التعليمية،بإعتباره مصدر تطور ونمو إجتماعي وإقتصادي يرتكز أساسا على فكرة البحث والإبداع والإبتكار.

حيث أثبت دراسات في دول أوربا أن إتباع سنة دراسية إضافية في التعليم العالي يسمح بزيادة نمو تقدر بـ 3 إلى 6% لأن المجتمعات الحديثة اليوم تحتاج إلى الكفاءة البشرية عالية الجودة.

فالمفارقة اليوم تتمثل في أن على الرغم من إستمرار الجامعة اليوم في منح المجتمع عناصرها الكفئة بإستمرار فهذا العطاء لا يلحق مستوى التطور التي يعرفها العالم اليوم.

من أجل تقليص الهوة بين إحتياجات مجتمع المعرفة، وعروض التعليم العالي إقترحت مجموعة حلول تتمثل في خلق جامعات معرفية،تسيير المؤسسات الجامعية حسب قوانين السوق،خلق عنصر المنافسة بين الجامعات، وضرورة خدمة الدولة بعطاءها العلمي.

دور التعليم العالي في خلق مجتمع معرفة :

كيف يمكن للتعليم العالي والبحث العلمي أن ينهض بمجتمع معرفة؟

لقد إقترح مجموعة من الأساتذة والباحثين، ورجال السياسة، والإقتصاد، والخبراء في مجال جودة التعليم العالي إقترحوا مجموعة من الحلول كالتالي:... (17)

التعليم العالي بين الجودة و الحاجة:

يعتبر التحدي الأول لمسؤولي التعليم العالي وهو تطوير جهاز التعليم، والبحث في مقابل المهمة صعبة لأن مشكل الحاجة، والإقبال يطرح نفسه. فإذا تمت مقارنة حجم الطلبة الوافد من سنة إلى أخرى على الجامعة، والحجم المادي للدول نجد فارق كبير، يعتبر الصعوبة الأولى في المضي بالتعليم العالي نحو رفع الجودة وخلق مجتمع معرفة،مما تظطر بعض الدول إلى فرض حقوق مادية عالية مما يقلل من فرص الإلتحاق بالجامعة وخاصة لدى الفئة المتوسطة، وضعيفة الدخل في المجتمع،هذه السياسة متبعة بصفة خاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية من أجل رفع جودة التعليم العالي ولكن على حساب الطلب والإقبال على التعليم العالي وعلى هذا الاساس تخلق في مثل هذه المجتمعات جامعات للأغنياء وأخرى للفقراء.

هذه السياسة تساعد على خلق ما يسمى بإقتصاد المعرفة في ظل مجتمع المعرفة والتي أساسها الإبتكار والمنافسة والجودة لأن الجامعة تأييد في هذا الموقف فكرة النخبة العلمية ولا تأيد فكرة الشعبوية العلمية.

إن الإشكالات التي تواجه العالم الثالث من بينها الجزائر والتي تتبع عكس السياسة المذكورة أعلاه هي:

.كيف يمكن أن نرفع من جودة التعليم العالي دون المساس بحجم الطلب المتزايد عليه ؟

. ما هي الوسائل التي ينبغي أن تستعمل من أجل رفع الجودة ؟

. ما هي مصادر التمويل التي يمكن أن تعتمد عليها دون فرض على الطلبة حقوق عالية التكاليف ؟

2. إدماج الجامعة في المحيط الإقتصادي:

تبقى الجامعة المصدر الحاسم في تزويد المجتمع بالموارد البشرية المؤهلة علميا،نقصد بإدماج الجامعة في المحيط الإقتصادي التفاعل بين التعليم والصناعة عن طريق عامل الإبتكار.

إن غياب البنى التحتية للتكنولوجيا و مخابر البحث عالية الجودة قد تعرقل من دور التعليم العالي في ظل مجتمع المعرفة في ظل هذا الواقع ما هي الحلول من أجل النهوض بمجتمع المعرفة ؟

3. إدماج عائد التعليم العالي في مجتمع المعرفة:

إن تكنولوجيا الإتصال و الإعلام هي محرك إقتصاد المعرفة حيث غيرت عالم البحث من خلال قدرتها على المعالجة السريعة للمعلومات (الممارسات،تبسيط أدوار الانظمة المعقدة) إن تكنولوجيا الإتصال و المعلومات حولت عالم تعليم الطلبة حيث أصبحت في البلدان المتطورة رقمية مع تطور مصطلح cyberformation بالإضافة إلى تحقيق طموح الطلبة في الحصول على تعليم عالي دون الحاجة إلى تغيير أو التنقل من مكان الإقامة.رغم مثلا أن الجزائر لم تقطع أشواطا كبيرة في خلق مجتمع معرفة إقتصاد المعرفة ما زالت تركز على توفير و بناء البنية التحتية المادية إلا أن هذا لا يمنع من طرح السؤال التالي كيف يمكن لتكنولوجيا الإعلام و الإتصال أن تحول طرق التدريس الكلاسكية في التعليم العالي ؟

.كيف يمكن توسيع هذا النمط في التعليم من خلال المحافظة على تقليل تكاليفه ؟

.كيف يمكن الموازنة بين ديمقراطية التعليم العالي و جودته؟

4. العولمة و الحراك العالمي:

إن العولمة فرضت حراك لم يعرف من قبل فيما يخص عالمية التعليم العالي من خلال تقارب، والإحتكاك، والمنافسة عروض التعليم ذات الجودة لكن في الوقت العمل بمبدأ عدم المساواة الإجتماعية.

إن الجزائر رائدة في مجال ديمقراطية التعليم هذا الجانب الإيجابي يحسد عليه الطالب الجزائري لكن اليوم متطلبات العصر تملي علينا إعادة النظر في تحديد وتفعيل هذه السياسة دون المساس بمبادءها، ومن دون المساس بمتطلبات المجتمع الراهنة والمستقبلية ودون المساس بتركيبة المجتمع ونمط حياته وعاداته و تقاليده...

فالسؤال المطروح هنا كيف نستطيع تحويل هذه الظاهرة العالمية إلى تعاون بين الشمال والجنوب من أجل الحد من ظاهرة هجرة الادمغة؟

5. أنماط التسيير في التعليم العالي:

من المعروف في العالم الثالث أن سلك التعليم العالي يخضع لتسيير الدولة هذا مكسب مهم لكن لابد من إعادة الإعتبار في إحتياجات الدولة نفسها والمجتمع وإعادة الإعتبار في المناهج وتطوير القطاع وتحسين جودته،و إستغلال فترة الإسترخاء السياسي في مناقشة الأمور الجدية المتعلقة بالشباب،التنمية،مناقشة معوقات التنمية وجعلها في متناول المجتمع بكل شفافية من أجل خلق الوعي الإجتماعي والحد من مظاهر التطرف والعنف والإحتقان مسبقا قبل وقوعها.

6. البحث الأساسي و البحث التطبيقي:

ما هو معروف في مجتمع المعرفة نوعين من البحث واللذان يسمحان بتطوير مهارة المجتمع والتي عادة تتطور أساليب هذه الأنماط من البحث من خلال إنشاء مراكز البحث لتطوير إقتصاد

المعرفة ؟ إذا كيف يمكن بناء بحث تعليمي مشترك؟و هذا في فائدة دول الجنوب، ما هي خصائص وصفات باحثين مجتمع المعرفة وكيف يتم بناءها ؟

7. تسيير الموارد البشرية:

وتتمثل في حاجة مجتمع المعرفة إلى كوادر وكفاءاة بشرية قادرة على الإبتكار والمنافسة و الإبداع والإنتاج والقدرة البيداغوجية هذا يعني تحدي كبير في وجه العالم الثالث هناك مثل معروف لدينا "مصائب قوم عند قوم فوائد" فهذا التحدي يمثل إستثمار جيد للبلدان المتقدمة من خلال هجرة النخبة من بلدان الجنوب إلى بلدان الشمال هناك 20.000 مهاجر من إفريقيا حسب المنظمة العالمية للهجرة إذا هذا النزيف العلمي ليس في صالح دول الجنوب وليس في صالح بناء مجتمع معرفة و إقتصاد معرفة في المدى المتوسط والبعيد.

خاتمة:

إن ثقافة الجزائر، موروث ومعايير، وعادات لها تاريخ طويل جدا،حافل بالنجاحات والإخفاقات،ربما سوف نكون مجحفين لو تكلمنا عن تطور هذا الأرث عبر الزمن،لكن نكتفي بما ذكر في المقال من نقاط، حاول الباحث إثارتها وإعادة تطويعها، مع بعض القضيا الإجتماعية الراهنة بالخصوص قضية التعليم العالي ودوره في ترسيخ الهوية الوطنية و الدفع بالثقافة الجزائرية نحو الأمام من خلال وضع إستراتجية محكمة على مستوى المنظومة تخص عاداتنا وتاريخنا وقدراتنا المختلفة حيث إعتمدنا في فهم هذا المعنى عاى الرؤية السوسيولوجية في المجتمع الجزائري،من أجل أن نخلق فرصة بيننا من أجل تناول هذه المسائل بدراسات علمية أكثر دقة، وأكثر عناية، وتخصص لأن فهم ثقافة الجزائر كما أشار الأستاذ أبو القاسم سعد الله المهتم بدراسة ثقافة الجزائر خلال الفترة العثمانية والفرنسية أنها عرفة تأخرا خلال القرون السادس والسابع عشر، وذلك بحجة الإستعمار وتقييد الحريات، اليوم ليس لنا عذرا من أجل الغوص في دراسة ثقافتنا ومقومتنا الإجتماعية .

الهوامش

1. عبد الله شريط،من واقع الثقافة الجزائرية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،الطبعة الثانية سنة 1981،ص 39-40.
2. عبد الله شريط،من واقع الثقافة الجزائرية،المرجع السابق،ص 41.
3. عبد الله شريط،المرجع نفسه ص 42.
4. عبد الله شريط،المرجع نفسه ص 43.
5. عبد الله شريط،المرجع نفسه ص 49.
6. عبد الله شريط،المرجع نفسه ص 135.
7. عبد الله شريط،المرجع نفسه ص 137.

أسعد السحمرواني:

ولد في عكار– لبنان 1953. أستاذ "العقائد والأديان المقارنة" في جامعة الإمام الأوزاعي . بيروت. عضو المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس . عمّان. عضو لجنة القدس وفلسطين في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة. عضو اتحاد الكتاب العرب في دمشق. عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر. عضو منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في الرباط. عضو مجلس أمناء المركز الثقافي الإسلامي في بيروت.

:فرانسيس فوكوياما: كاتب ومفكر أمريكي الجنسية من أصول يابانية ولدفي مدينة شيكاغو الأمريكية عام 1952 م. يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد .من كتبه كتاب (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) و(الانهيار أو التصدع العظيم)

8. البداية ذياب الأمن و حرب المعلومات عمان دار الشرق للنشر و التوزيع 2002 ص 35
9. محمود أبوبكر، التقنية الحديثة في المعلومات و المكتبات نحو إستراتجية عربية لمستقبل مجتمع المعلومات،المؤسسة العربية للدراسات و النشر 2002 ص13
10. فكرة عامة ملخصة عن الأستاذة هند علوي، في كتاب مجتمع المعلومات بالجزائر،قياس نفاد إلى تكنولوجيا المعلومات و الإتصالات بقطاع التعليم بالشرق الجزائري، دار الأكادمية للنشرالطبعة الأولي سنة 2009.ص (30-31).
11. العثراوي أحمد محمد،مجتمع المعلومات العربي واقع و تحديات،الندوة العربية الخامسة.(على الخط) النادي العربي للمعلومات 2003،2002،متاح على الشبكة.
12. العثراوي أحمد محمد،مجتمع المعلومات المرجع السابق ص3.
13. (13): على غربي العولمة و إشكالية الخوصصة الثقافية مجلة الباحث الإجتماعي العدد 6 ص(10-20).
14. عبد الحميد دليمي، واقع التعليم العالي و تحديات العولمة مجلة الباحث الإجتماعي العدد 6 ص(35-59).
15. محمد مصطفى الأسعد،مشكلات الشباب الجامعي و تحديات التنمية،المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع دون طبعة و سنة ص 12.
16. حسب الملتقى رفيع المستوي الذي إنعقد في نوفمبر سنة 2005 من طرف Par Forest Woody Horton " حول إستعمال المعلومات في الحياة.متوفر على الشبكة،أنظرالموقع. http://www.uis.unesco.org/communication/pages/information-literacyFR.aspx

: خبير دولي في المعلومات مستشار منظمة إليونسكوا.Forest Woody Horton

17. : résume generale: INFORMATION PUBLIEE LE VENDREDI 21 JUILLET 2006 PAR ALEXANDRE GEFEN, 4ème Congrès International du Management de la Qualité dans les Systèmes d'Education et de Formation : Thème du congrès : « L'enseignement supérieur et la recherche face aux enjeux de la société du savoir », Du 17 au 19 avril 2007 à Casablanca – Maroc, Responsable : AMAQUEN: Association Marocaine pour l'Amélioration de la Qualité de l'Enseignement,voir : **http://www.amaquen.org**.

منذ القدم ارتبط بناء شخصية الإنسان في أبعادها الأربعة : البدنية، الفكرية، النفسية والروحية بالعمران روحاً ومادةً فعلماء النفس ذهبوا في للأن الجسم البشري يحتاج إلى متطلبات أربعة أغلب المواقف إلى إرجاع مشاكل بناء الشخصية إلى المسكن الذي نشاء فيه ذلك المرء، ،أولاً بدنية: تتمثل في الشمس والهواء والمتعة البصرية،ثانياً:فكرية تتمثل في الهدوء والتركيز،ثالثاً:نفسية:تتمثل في الاستقرار والطمأنينة والسكينة رابعاً:روحية: تتمثل في الخشوع والإيمان، لذلك اهتمت جل الحضارات الغابرة بالجانب المعماري،فحضارة القرن الحادي والعشرين ركزت اهتمامها على العمارة،حيث استفادت من نتاج تجارب وخبرات الحضارات الغابرة في جميع الميادين، فالمبادئ التي اعتمدتها حضارة المصريين والرومانيين واليونانيين منطلقاً في مجال البناء والتشييد تحقق به تطوراً معمارياً في الحضارات اللاحقة كما أن نظرة المنظمات الدولية نحو المخلفات المادية قد تغيرت وأصبحت في عرف عصرنا تراثاً إنسانياً ملكاً للبشرية جمعاء، ونتيجة لليقظة الثقافية أصبح حماية التراث المادي من الأولويات التي تسهر عليها منظمة الأمم المتحدة، حيث عقدت المؤتمرات وسطرت القوانين والتوصيات من أجل الحفاظ الدائم على المعالم الأثرية لتبقى همزة وصلٍ بين ماضي الأمة وحاضرها. وإذا ما تصفحنا هذا العالم، نكاد لا نجد بقعة تخلو من بصمة الأسلاف، ففي الجزائر مثلاً تتواجد العديد من المعالم الأثرية ذات الأصل المختلف من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة الإسلامية مروراً بالفترة الرومانية والوندالية والبيزنطية مؤكدة على مدى الرقي والتطور الذي وصلت إليه تلك الحضارات كما أنه توجد سبعة معالم مصنفة في لائحة اليونسكو كتراث عالمي وهي: قلعة بني حماد، حضيرة الطاسيلي ناجر، وادي ميزاب بغرداية، تيمقاد بباتنة، القصبة بالجزائر العاصمة، جميلة بسطيف، تيبازة بحوضها الفينيقي.وإلى فترة قريبة أصبحت المعالم والمواقع التاريخية منبعاً وركيزة لأي بلد من بلدان العالم في تحقيق النمو ودفع قاطرة التنمية المستدامة، هذه الأخيرة التي شاع استخدامها في الآونة الأخيرة كمرادف للمستمرة وإن كانت الاستدامة تعني الاستمرارية لكنها أوسع دلالة إذ تعتبر رؤية شاملة إستراتيجية لا تقع في وحل الشره وضيق الأنانية وهي كذلك الاستعمال المثالي لجميع مصادر الحياة للمستقبل البعيد مع التركيز على